سلسلة الدروس (١٦)
١٤٤٨هـ

شرح

الصحيح المسند من الشمائل المحمدية

للشيخة
أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

دار الوادعية

بسم الله الرحمن الرحيم

❐أسئلة الدرس (١٢)❐

١. قول الصحابي رضي الله عنه -وهو عبدالله بن السائب-: (أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟) هل هذا يدل على أن الكعبة كانت غير موجودة قبل ذلك؟

هي كانت موجودة قبل أبينا إبراهيم، كما هو قول جماعة من أهل العلم، واستدلوا بقوله تَعَالَى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقال تَعَالَى:﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦﴾[الحج: ٢٦]. وذهب كثير من أهل العلم أن أول من بناها إبراهيم؛ لقول الله تَعَالَى:﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾[البقرة: ١٢٧]، واستدلوا أيضًا بالآية السابقة: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦﴾[الحج: ٢٦].

٢. ما هو اللبن الخاثر؟

اللبن الغليظ، ضد الرقيق.

٣. في قوله: (حَتَّى بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ) أي حجر؟

الحجر الأسود.

٤. ماذا كانت قريش تلقب النَّبِيّ ﷺ قبل البعثة؟

تلقبه الأمين.

٥. هل كان كفار قريش يعرفون أمانة النَّبِيّ ﷺ؟

٦. قال الله تَعَالَى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المؤمنون: ٦٩]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أَيْ: أَفَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مُحَمَّدًا وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَصِيَانَتَهُ الَّتِي نَشَأَ بِهَا فِيهِمْ، أَفَيَقْدِرُونَ عَلَى إِنْكَارِ ذَلِكَ وَالْمُبَاهَتَةِ فِيهِ؟. اهـ المراد. وقال جعفر بن أبي طالب للنجاشي رحمه الله: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ تَعَالَى. الحديث رواه الإمام أحمد رحمه الله (١٧٤٠) عن أم سلمة، وهو في «الصحيح المسند» (١٦٥١) لوالدي رحمه الله. وحديث: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

٧. تكلم أهل العلم على الحكمة من رعي الأنبياء قبل البعثة؟

الْحِكْمَةُ فِي رِعَايَةِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ لَهَا؛ لِيَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ بِالتَّوَاضُعِ، وَتَصْفَى قُلُوبُهُمْ بِالْخَلْوَةِ، وَيَتَرَقَّوْا مِنْ سِيَاسَتِهَا بِالنَّصِيحَةِ إِلَى سِيَاسَةِ أُمَمِهِمْ بِالْهِدَايَةِ وَالشَّفَقَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٨. في قوله ﷺ: (وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا) ما (هل) على بابها؟

هنا الاستفهام بمعنى النفي.

٩. ما هو الفج؟

الطريق الواسع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٣)

قَالَت شَيخَتُنَا أُمُّ عَبدِاللهِ بِنتُ الشَّيخِ مُقبِلٍ غَفَرَ اللهُ لَهَا وَلِوَالِدَيهَا:

ط-تَسْلِيْمُ الحَجَرِ عَلَيهِ قَبْلَ البِعْثَةِ:

١-قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٢٧٧): وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١)، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ (٢)، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ، حَدَّثَنِي سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ **جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ** (٣)

---

(١) صاحب المصنف، عبدالله بن محمد.

(٢) الكرماني، وأبو بكير اسمه نسر.

(٣) اللام التي تدخل على خبر (إنَّ) تسمى لام المزحلقة، سواء دخلت على فعل كما هنا في هذا الحديث، وكما في قول الله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [النحل: ١٢٤]، أو اسم كقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وفي هذا يقول ابن مالك رحمه الله:

وَبَعْدَ ذَاتِ الكَسْرِ تَصْحَبُ الخَبَرْ... لاَمُ ابْتِدَاءٍ نَحْوُ إِنِّي لَوَزَرْ

وهذه اللام يقال لها: لام الابتداء، ولام المزحلقة.

والمراد بالمزحلقة كما استفدت من والدي رحمه الله: أنها زحلقتها (إن) إلى الخبر.

وقد ذكر ابن هشام رحمه الله هذا المعنى في «مغني اللبيب»(٣٠٤)، وقال: سميت بذلك؛ لِأَن أصل «إِن زيدًا لقائم»: «لإن زيدًا قَائِم»، فكرهوا افْتِتَاح الْكَلَام بتوكيدين، فأخروا اللَّام دون «إِن»؛ لِئَلَّا يتَقَدَّم مَعْمُول الْحَرْف عَلَيْهِ. اهـ.

حَجَرًا (٤) بِمَكَّةَ (٥)، كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ (٦)، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»(٧).

---

(٤) قيل: إنه الحجر الأسود. كما في «الشفاء»(١/٥٨٩)للقاضي عياض.

وتعيينه بالحجر الأسود يحتاج إلى دليل صحيح.

(٥) أتى بتأكيد الكلام بـ(إن)، وبالجملة الإسمية، والتأكيد يحتاج له عند الإنكار أو الشك غالبًا، والأصل فيها أنها لا تلقى لخالي الذهن، وقد أجاب عن ذلك المناوي في «فيض القدير»(٣/١٩)، وقال: قد يكون عَلِمَ منهم الغفلة عن مثل هذا في ذلك الوقت فأراد التنبيه عليه بتنزيلهم منزلة الغافلين عنه، كما في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾[المؤمنون: ١٥]، ولم ينكر أحد الموت، لكن لما غلبت الغفلة عنه حسُن، أو بالنظر إلى غيرهم؛ لأنه أمر مستغرب فهو في مظنة الإنكار. اهـ.

فهذان أمران: أحدهما: أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علم منهم الغفلة عن هذا، والثاني: لأن هذا الأمر مستغرب-يعني: غريب جدًّا-جماد يسلم على النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(٦) أي: قبل النبوة.

قال المناوي في «فيض القدير»(٣/١٩): وقيد به؛ لأن الحجارة كلها كانت تسلم عليه بعد البعث، كما روي عن علي. اهـ.

وقوله: (كما روي عن علي) يشير إلى ما أخرجه الترمذي(٣٦٢٦) من طريق الوَلِيد بْن أَبِي ثَوْرٍ، عَنْ السُّدِّيِّ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا، فَمَا اسْتَقْبَلَهُ جَبَلٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ».

وهذا إسناد ضعيف؛ الوليد بن أبي ثور ضعيف، وعباد بن أبي يزيد قال الذهبي في «ميزان الاعتدال»(٢/٣٧٨): لا يدرى من هو.

وقد توبع الوليد بن أبي ثور تابعه زياد بن خيثمة، كما أخرج الطبراني في «المعجم الأوسط»(٥/٣٢٢): من طريق زِيَادِ بْنِ خَيْثَمَةَ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِي عِمَارَةَ الْخَيْوَانِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: «خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ عَلَى حَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ».

قال الإمام الألباني في «الصحيحة»(٢٦٧٠): وهذا إسناده صحيح رجاله ثقات معروفون.

وهذا نستفيد منه: أن الحجارة كانت تسلم عليه ﷺ بعد البعثة. لكن لا يعني هذا الاستمرار كل ما مَرَّ بها.

قوله: (كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ) أي: يشهد له بالرسالة مع إلقاء السلام، فيقول: السلام عليك يا رسول الله، أو نحو هذا.

(٧) هذا الحديث من فوائده:

أنه من أدلة الإرهاصات التي حصلت قبل البعثة، فهذا الحجر كان يسلم على النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع أنه جماد، وسبق لنا شيء في هذا في بعض دروسنا ومن ذلك قول الراهب: (إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ).

ومن الإرهاصات أيضًا ما روى البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ. الحديث.

وشق صدره ﷺ في صباه عند مرضعته حليمة في بني سعد.

وهذه الإرهاصات فيها تهيئته ﷺ للوحي، قال القرطبي رحمه الله في «المفهم»(٦/٥١): ذكر العلماء بسيرة النبي ﷺ وأحواله: أنه كان من لطف الله بنبيه ﷺ أن قدَّم له مقدِّمات، وخصَّه ببشائر وكرامات، درَّجَهُ بذلك إلى أطوارٍ؛ لينقطع بذلك عن مألوفات الأغمار، ويتأهل على تدريج لقبول ما يُلقى إليه، ولتسهُيل مشافهة الملك عليه، فكان ﷺ يرى ضياءً وأنوارًا، ويسمع تسليمًا وكلامًا، ولا يرى أشخاصًا، فيسمع الحجارة والشجر تناديه، ولا يرى أحدًا يناجيه، إلى أن

استوحش من الخلق، ففرَّ إلى الحق، فحُبِّبت إليه الخلوة، فكان سبب هذه الحبوة، مشافهة الملك فقبِل فَمَلَك.

(الأغمار) جمع غمر، وهو كما في «المصباح المنير»(٤٥٣): من لَمْ يُجَرِّبُ الْأُمُورَ، وَقَوْمٌ أَغْمَارٌ مِثْلُ قُفْلٍ وَأَقْفَالٍ.

(الحبوة) أي: العطية، قال في «مختار الصحاح»(٦٦): (حَبَاهُ) يَحْبُوهُ (حَبْوَةً) بِالْفَتْحِ أَعْطَاهُ، وَ (الْحِبَاءُ) الْعَطَاءُ. اهـ.

وفيه: أن الله ﷻ قد يخلق إدراكًا في بعض الجمادات، والله على كل شيء قدير، ونبي الله موسى ﷺ عند أن أراد أن يغتسل فوضع ثوبه على الحجر، ففر الحجر بثوبه هرب به، وكان هذا من حكمة الله؛ لأن اليهود كانوا يتهمونه بمرض يقولون: آدر، حتى نظرت بنو إسرائيل، وقالوا: والله ما بموسى من بأس. كما روى البخاري(٢٧٨)، ومسلم(٣٣٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى ﷺ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ، يَقُولُ: ثَوْبِي يَا حَجَرُ، حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، وَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا».

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول عن جبل أحد: يحبنا ونحبه.

قال النووي ﷺ في فوائد حديث جابر بن سمرة في الباب: فيه معجزة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٤]، وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤]. وفي هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزًا بحسبه كما ذكرنا. اهـ المراد.

يعني نؤمن بهذا على حقيقته ولا يقال: هذا مجاز عن كذا؛ لأن هذا تأويل وصرف للدليل عن ظاهره من غير دليل.